قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

دور حاضرة تنس في دعم الحكم الزياني سياسيا وفكريا

The role of the Tennis metropolis in supporting the Zayan regime politically and intellectually

عائشة تازي[1,*]، عمارة فاطمة الزهراء[2].
[1] جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف- الجزائر. مخبر تاريخ الجزائر -وهران-
[2] جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف- الجزائر.

Key words:
Tennis
Zayani State
Abu Ishaq Tensi
Abul-Hassan Al-Tansi
El Hafed Al-Tansi
Tlemcen.

Abstract

The major Islamic metropolises and cities have attracted the attention of geographers and researchers in an integrated historical framework that covers all their aspects and reflects their civilizational status, In contrast to the smaller metropolises that continued to play their roles in supporting their political territory due to their strategic, economic or commercial importance The city of Tennis, despite its geographical limitations, is among the smaller metropolises that gained leadership and sovereignty in an early era, And the Sulaymanids took it as one of their most important principalities in the central Maghreb, which is what made it important in the Mediterranean maritime trade. Its role emerged clearly during the Zayani era, and its scholarly elites, especially the Tennisian brothers Abu Ishaq and Abu al-Hasan bin Khalaf bin Abd al-Salam al-Tansi, who led the fatwa and teaching in the Zayan state, and the scholar al-Hafiz Muhammad bin Abdullah bin Abd al-Jalil al-Tansi in supporting the Kingdom of Tlemcen politically and scientifically, and contributed to the revitalization of the movement. intellectual.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال :2022-10-08
القبول : 2023-04-12

الكلمات المفتاحية:
تنس
الدولة الزيانية
أبو إسحاق التنسي
أبو الحسن التنسي
الحافظ التنسي
تلمسان.

ملخص

نالت الحواضر والمدن الإسلامية الكبرى اهتمام الجغرافيين والباحثين في إطار تاريخي متكامل يغطي جميع جوانبها ويعكس مكانتها الحضارية، على عكس الحواضر الصغرى التي أقصاها التهميش التاريخي رغم انها ظلت تؤدي أدوارها في دعم إقليمها السياسي بحكم أهميتها الاستراتيجية الاقتصادية أو التجارية. وتعد مدينة تنس رغم محدوديتها جغرافيا من بين الحواضر الصغرى التي نالت الريادة والسيادة في عهد مبكر، واتخذها السليمانيون أحد أهم إماراتهم بالمغرب الأوسط ذلك ما أكسبها أهمية في التجارة البحرية المتوسطية، وبرز دورها بشكل جلي خلال العهد الزياني واستطاعت نخبها العالمة خاصة الأخوان التنسيان أبو إسحاق وأبو الحسن بن يخلف بن عبد السلام التنسي والعالم الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي اللذين تصدروا الفتيا والتدريس بالدولة الزيانية، وساهموا في دعم مملكة تلمسان سياسيا وعلميا وساهموا في تنشيط الحركة الفكرية.

* Corresponding author at : Hassiba benbouali University of CHLEF, ALGERIA.
Email : a.tazi@univ-chlef.dz

1. مقدمة

تمتع الشريط الساحلي للمغرب الأوسط بمزايا طبيعية وجغرافية زادت من أهميته إطلالته المتوسطية والتي ربطته بشكل مباشر مع العالم الأوروبي، وكانت كفيلة بإنعاش نشاطه التجاري البحري بفعل عامل التجارة وارتباط مسالكه التجارية بالمناطق الداخلية والصحراوية وذلك ما كان سببا مباشرا لتأسيس المدن حول الموانئ الصغرى لتزيد من قيمة العائدات التجارية على اقتصاد المغرب الأوسط وعلى ساكنة المدينة هذا ماكان سببا مباشرا لإنشا مدينة التنس.

غير أن مدينة تنس سطع نجمها كحاضرة سياسية عندما اتخذها السليمانيون كأحد قواعدهم بالمغرب الأوسط واتضح دورها الحضاري منذ ابتداء حكم بني زيان في منتصف القرن الثامن الهجري.

الإشكالية

فيما تمثلت المكانة السياسية والحضارية لإمارة تنس قبل العهد الزياني؟ ماهي الظروف والعوامل التي أدت إلى إنشاء مدينة تنس؟ إلى أي مدى ساهمت حاضرة تنس في استقرار الحكم السياسي بتلمسان ؟ كيف ساهم علماء تنس في احياء المرجعية المالكية في الدولة الزيانية؟ فيما تمثلت جهود علماء تنس في دعم الحركة الفكرية والعلمية في الدولة الزيانية؟

تنس التسمية والموقع

1.2: اسم المدينة ـ تنس

جذور اسم المدينة فينيقية ليبية Cartenna (كارتينا) وcarttennas –كارتيناس- وأصل الكلمة مكون من شطرين "كرت" ويعني المدينة، والثاني "تينا" أو "تيناس" ومنه اشتق اسم المدينة الحالية (عشي علي، 2019م، ص402)-تنس- وارتباط المدينة بالتسمية الفينيقية يعود إلى تاريخها في العهد الفينيقي أثناء توسعهم في الحوض الغربي لبحر الروم –البحر المتوسط- وكانت تنس أحد مراكزهم وخربها الوندال (بهلولي سليمان ، 2011م، ص108.) ويربط آخرون اسم المدينة بأحد ملوك صيدا الملقب بتنس -Tenes- (فاطمة لواتي،2007-2008م، ص129.)

يحد المدينة من الجهة الغربية تلمسان، ومن الشرق الجزائر، وهي في منتصف الطريق بين وهران والجزائر بنحو ثلاثين فرسخا، ويحدها جنوبا الأطلس وشمالا البحر الأبيض المتوسط، جعلها بطليموس عند 11° من خطوط الطول 30° و30° من خطوط العرض (مرمول كربخال، دت، ج2، ص354)

2.2: بناء مدينة تنس الحديثة

يتفق الجغرافيون أن مدينة تنس التي أنشئت خلال العهد الإسلامي هي تنس الحديثة (أبو عبيد الله البكري 2002م، ص242. الحميري، 1984م، ص138.) التي تبعد عن ساحل البحر بنحو ميلان (البكري 2002م، ص241. الحميري، 1984م، ص138. المراكشي،1985م، ص133.)، وتتسع المدينة ما بين الجبل والسهل "بعضها على الجبل، وبعضها في السهل..." (ابن حوقل ،1992م، ص78، الحميري، 1984م، ص138)، وهي مدينة حصينة يحيط بها سور حصين (ابن حوقل ،1992م، ص78، الحميري، 1984م، ص138، المراكشي،1985م، ص133. البكري 2002م، ص241.) "... بداخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقي ينفرد بسكانها العمال لحصانتها"(البكري 2002م، ص241).

وأدق وصف جغرافي لمدينة تنس الحديثة هو وصف ابن حوقل (ت367هـ/977م) الذي زارها إلى عهد قريب من إنشائها قائلا: "... وهي مدينة فوق الصغيرة، وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها في الكبر... وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون" (ابن حوقل ،1992م، ص78).

والمدينة في حقيقة الأمر أزلية قديمة عليها سور حصين وحظيرة مانعة دائرة فيها (الإدريسي، 1983م، ص152)، ويشير الحميري إلى ما يدل على أسبقية المدينة القديمة ثم الحديثة: "... وعلى البحر حصن يذكر أهل تنس أنه كان المعمور قبل هذه الحديثة..." (الحميري، 1984م، ص138).

وأضاف مارمول كربخال إلى أن مؤسسي المدينة القديمة هم سكان البلد الأصليون على سفح جبل على نصف فرسخ من البحر (مرمول كربخال، دت، ص354)، في حين خالفه ليون الإفريقي "أن المدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط" (لحسن بن محمد الوزان الفاسي. 1983م، ج1، ص36)

أما المدينة تنس الحديثة فقد أنشأها البحريون الأندلسيون سنة 262هـ/ 876م فالموقع الجغرافي الإستراتيجي والمقومات الطبيعية والاقتصادية التي تتمتع بها المنطقة تستدعي تصنيفها من المدن الحضارية بالمغرب الأوسط، فالمنطقة ساحلية وزراعية ورعوية بامتياز (المراكشي،1985،ص133. الإدريسي،1983، ص152، 153. كربخال،دت ، ج2،ص354. الحسن الوزان، 1983،ج1، ص36.)، مشهورة بإنتاج الحبوب الوفيرة وكثرة الزروع والثمار، "وهي من الخصب في جميع الوجوه الرفهة بأمر مستفاض" (ابن حوقل ،1992م، ص78).وينفرد أبو عبيد الله البكري (ت ق5 هـ/11م) بنص يوضح فيه إحداثيات تأسيس المدينة من طرف البحارة الأندلسيون والذي كان بعد إلحاح وطلب من طرف سكان المنطقة "فتجمع إليهم بربر ذلك القطر ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس، وسألوهم أن يتخذوها سكنى وواعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة، فأجابوهم إلى ذلك وانتقلوا

إلى القلعة وخيموا بها وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس"(البكري 2002م، ص242.).

بدأ مشروع بناء المدينة سنة 262هـ/876م من طرف الأندلسيين منهم الكركدن ولبن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم، غير أن ما لبث وتوقفت مساهمتهم في بناء المدينة ورحلوا مع بداية فصل الربيع إلى بجانة الأندلسية، بسبب ما تعرضوا له من مرض ووباء (البكري 2002م، ص242)، فالمشهور عن المدينة أنها وبائية وجل الزائرين إليها يشتكون المرض أو وفاتهم بها (الحميري، 1984م، ص138، المراكشي، 1985، ص133) جُعِل مرّد ذلك إلى هوائها ومائها الرديء من الواد الذي هو مصدر شربهم وهو يدور حول المدينة حيث يختلط فيه مع مسالك الصرف الصحي، وكما أن الحمى لا تفارق أهلها في أكثر الأوقات (القزويني، دت، ص173).

غير أن هذا لم يكن مانعا من استمرار مشروع التأسيس بجهود سكان المنطقة، يضيف البكري "أن الباقين نزلوا تنس ولم يزالوا بها في تزايد وثروة وعدد..."، وما زاد من اتساع وعمران هذه المدينة هو انتقال سكان سوق إبراهيم إليها، ويعد هذا الحدث كمرحلة ثانية مهمة في بناء وحصانة تنس الحديثة، حيث عدد القاطنين الجدد –أهل سوق إبراهيم- في أربعمائة بيت استقبلهم ساكنة تنس "... وتوسعوا لهم في منازلهم وشاركوهم في أموالهم وتعاونوا على البنيان..."، وينتهي البكري إلى ما ينتهي إليه مشروع بناء المدينة من اتخاذ حصن وبابان من جهة القبلة هما باب البحر وباب ابن ناصح، ومن الناحية الشرقية باب الخوخة ومنه الطريق إلى عين تعرف عندهم بعين عبد السلام ثرة عذبة (البكري 2002م، ص242. الحميري، 1984م، ص138)، غير أن المدينة تعرضت لسيل جارف خرب وهدم قسم كبير منها في حدود نيّف وعشرون وستمائة (ياقوت الحموي، دت،ج2، ص49)

3.2: مكانة مدينة تنس الاقتصادية والتجارية

غلب النشاط التجاري على المدن الساحلية المغربية وعمل التجار بها كوسطاء بين المغرب والأندلس، واتخذ الملاّحة الأندلسيون المدن البحرية كمراكز وأسواق تجارية لتنقل وتبادل مختلف السلع والبضائع (خديجة بورملة، 2016م، العدد23، ص131)

ويعود الفضل في التطور الاقتصادي والتجاري لبلاد المغرب إلى فئات البربر المنطوين تحت لواء إمارات المغرب الأوسط (فاطمة بوعمامة، 2015، العدد9، ص73.)، فالتطور الكبير الذي شهدته مدينة تنس كولاية تابعة لإمارة السليمانيين مدة ثمانين سنة كفيلة لتغيير الإقليم بكامله وتحويل المدينة إلى مركز تجاري واقتصادي مهم (بهلولي سليمان، 2011م، ص109.)

العامل التجاري كان الدافع الرئيسي لسكانها والبحارة الأندلسيين نحو تخطيط المدينة واتخاذها سوقا لتجارتهم (عبد الرحمن الجيلالي، 2009، ج1، ص249.)، وذلك لما تزخر به المدينة من مؤهلات طبيعية واقتصادية، يعد ميناء أو مرفأ تنس القناة المحورية في تجارة واقتصاد المغرب الأوسط، فبفضله "عرفت المنطقة تجارة واسعة مع الأجانب الذين يجلبون من هذه الناحية القمح والشعير وغيرهما من السلع الأخرى فيحملونها إلى الجزائر وإلى غيرها من الأفاق (مرمول كربخال، دت، ج2، ص354).

يكتسي مرفأ تنس أهمية إستراتيجية رغم صغره، إلا أنه كان بمثابة همزة وصل بين تيهرت والأندلس، فاتصال تيهرت بالأندلس بحرا من مياه تنس (إبراهيم بكير بحاز، 2010م، ص233.)، ويؤكد الأستاذ كلوديت فاناكر أن "مرسى تنس أهم وأكبر ميناء في المغرب الإسلامي في عصر الرستميين للاتصال بالأندلس وتبعد تيهرت عن الميناء بحوالي أربعة أيام، به مسلك يتخلل الحقول والأنهار"، ويضيف الأستاذ بحاز إبراهيم أن هذا الميناء الرئيسي في المغرب الأوسط كان يقوم بدورين رئيسيين في وقت واحد يستفيد منه كل من الرستميين والأغالبة (إبراهيم بكير بحاز، 2010م، ص234.) ، وللارتباط الوثيق بين تنس والأندلس ولحيوية ونشاط ميناء المدينة جعلها ابن حوقل من "أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها" (ابن حوقل ،1992م، ص78)..

وعن أهمية ميناء تنس في ربط العلاقات التجارية ما بين تونس والأندلس وتيهرت يصف لنا اليعقوبي المسلك البحري المؤدي من خلالها للأندلس "أن المسافر من إفريقية إلى جزيرة الأندلس يركب البحر مسحلا غير موغل إلى تنس أو صار إلى تيهرت يوافئ جزيرة الأندلس فيقطع اللُج في يوم وليلة حتى يصير إلى بلد تدمير" (اليعقوبي، دت، ص105)

تتوسط مدينة تنس الطريق التجاري الساحلي من جزائر بني مزغنة باتجاه المدن الساحلية في إقليمي المغرب الأوسط والأقصى، فيجتار تنس ووهران وواسلن ثم أرجكوك ونكور، وكانت هذه المدن محطات نشطة للتجارة البحرية عصرئذ فعاليتها مع مدن الداخل (فاطمة بلهواري، دت، ص99.)، ومن الطرق المؤدية إلى المدن الداخلية نجد الطريق من القلعة نحو المسيلة مرورا بأشير، نحو سوق هوارة ومنها إلى غاية سوق كرام، ثم إلى مليانة... ومنها إلى خضراء ومنها إلى مدينة تنس(البكري 2002م، ص59، 60، 61.).

ورواج الأنشطة التجارية بمدينة تنس مرده إلى كثرة أسواقها (البكري 2002م، ص59، 60، 61.). وقيمة الثروة الزراعية والحيوانية ووفرة المنتوجات الصناعية، فكانت من أبرز مراكز التبادل التجاري وفرضت سياستهم الاقتصادية أن جعلوا مراصد على التجارة الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة (ابن حوقل ،1992م، ص78).

وعكست لنا المصادر الجغرافية والرحلات حجم الثروات الاقتصادية للمدينة، "فهي كثيرة المزارع، منها يحمل

الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية، وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم"(الإدريسي، 1983م، ص84)، وشكلت الحبوب من القمح والشعير والمنتوجات الأكثر وفرة بالمدينة وهي من السلع الرائجة داخل المغرب الأوسط وخارجه(مرمول كربخال، دت، ج2،ص354). ، فابن سعيد المغربي يصف لنا رواج هذا المنتوج الزراعي تجاريا بتنس فهي: "... مشهورة بكثرة القمح، ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها..."(ابن سعيد المغربي، 1982م، ص142.) ، فضلا عن وفرة الفواكه بها كالسفرجل المعنق الذي اشتهر بجودته وحلاوته وطيب رائحته"(الإدريسي، 1983م، ص84، الحميري، 1984م، ص138. ابن حوقل ،1992م، ص78).

ومن المنتوجات الحيوانية المشهورة بالمدينة إنتاج العسل والشمع فينتج الكثير منها (لحسن بن محمد الوزان الفاسي. 1983م، ج1، ص36. مرمول كربخال، دت، ج2، ص354). فضلا عن توفر اللحوم ومشتقاتها وذلك لكثرة المواشي بها وخصب مراعيها (البكري 2002م، ص243).

3ـالدور السياسي لمدينة تنس

3ـ1: إمارة تنس

سطع نجم مدينة تنس تاريخيا في عهد مبكر، حيث نالت الريادة والسيادة السياسية لإقليمها وشكلت إحدى القواعد السياسية والحضارية الرئيسية والهامة بالمغرب الأوسط، فاتخذها السليمانيون كأحد الإمارات أو الولايات التابعة لمملكتهم بتلمسان ذات التبعية المطلقة لدولة الأدارسة بالمغرب الأقصى.

ارتبط تاريخ قيام الدولة السليمانية بقدوم سليمان بن عبد الله الكامل -أخ إدريس الأكبر- إلى المغرب بعد وفاة هذا الأخير، التحق سليمان بداية بتيهرت وطلب الأمر –الحكم- هناك فاستنكره البربر وطلبه ولاة الأغالبة فالتحق بتلمسان، فملكها وأذعنت له زناتة وسائر قبائل البربر هناك (عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ج4، ص23)، واستطاع سليمان أن يؤسس مملكته العلوية في إقليم المغرب الأوسط الذي عرف نشاط الحزب العلوي عندما أرسل محمد النفس زكية سليمان بن عبد الله إلى المغرب فنزل بتلمسان، وأرسل إدريس للمغرب لنفس الغرض(بهلولي سليمان ، 2011م، ص98)، حيث توجه نضالهم السياسي بتأسيس دولة الأدارسة أولا سنة 171هـ/ 788م (بهلولي سليمان ، 2011م، ص67) ثم تلاها قيام دولة سليمان بتلمسان مع منتصف القرن الثاني هجري (عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ج4، ص23.).

توفي سليمان بن عبد الله حاكم تلمسان قبيل نهاية القرن 2 ه/8م . وخلفه ابنه محمد، وحتى يحافظ على ممتلكاته في المغرب الأوسط وتقليدا لما رسمه إدريس الثاني عندما وزع ملكه بين أبنائه في المغرب الأقصى، كذلك فعل محمد بن سليمان قسم المغرب الأوسط على أبنائه: إدريس، عيسى، إبراهيم، علي، حسن وهم(أبو عبد الله التنسي، 2011م، ص65، 66) الذين أعقبوا الخلف السليماني بالمنطقة وشكلت إماراتهم وحدة الأسرة العلوية إذ شكلت حاجز أو حد فاصل أمام أطماع الأغالبة في الجهة الشرقية، وكانوا أمراء على مدن منعزلة تقف كحصون في وجه منافسيهم الرستميين والصفريين(بوزياني الدراجي، 2007م، ص376، 377.).

منح حكم مدينة تنس للأمير إبراهيم بن محمد بن سليمان (عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ج4، ص23. أبو عبد الله التنسي، 2011م، ص68، البكري 2002م، ص242)، ولعل مشروع بناء تنس الحديثة كان متزامنا لفترة حكم إبراهيم، حيث شهدت المدينة تطورا كبيرا خلال العهد السليماني، وتعاقب عليها أبناؤه مدة ثمانون سنة (262-342هـ)، وكانت هذه المدة على قصرها كافية لتغيير الإقليم (بهلولي سليمان، 2011م، ص108، 109.) حيث صارت قبلة تجارية واقتصادية حيوية، خاصة من قبل الأندلسيين، حيث دانت لسلطان الأمويين (محمد بن أحمد أبو راس الناصري ،دت، ج1، ص31.) وسكنها من أهلها أهل ألبيرة وتدمير (البكري، 2002م، ج2، ص242).

تعاقب على حكم المدينة من ولد إبراهيم ثلاث أمراء هم: محمد بن إبراهيم، ثم ابنه يحي، ثم ابنه علي.

يعرفنا التنسي بهم: "وأما إبراهيم صاحب تنس فإنه لما هلك خلفه ابنه محمد معه أخوه عيسى- ومن ولد عيسى هذا كان إبراهيم، الذي ينسب إليه سوق إبراهيم بشلف، فلما هلك محمد بن إبراهيم خلفه ابنه يحي، فلما هلك يحي خلفه ابنه علي- وحمزة الذي نسب إليه وطاء حمزة من أحواز بجاية- هو ابن علي هذا صاحب تنس"(أبو عبد الله التنسي، 2011م، ص68).

ويعد علي آخر حكام بني سليمان العلويين على المدينة حيث تعرضت المدينة لهجمات العبيديين وسقطت إمارة تنس سنة 342هـ/ 953م على يد زيري بن مناد (عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ج4، ص24.).

"ثم تناوب على حكمها منذ القرن الرابع الهجري عدة دول تنازع على حكم المغرب الأوسط وهي العبيديون ومغراوة وصنهاجة والمرابطون والموحدون، أخذها أول مرة العبيديون على يد عروبة الكتامي ومصالة المكناسي، ولما انتقل المعز إلى مصر استولى عليها بلكين بن زيري من صنهاجة وملكها كغيرها من أمصار المغرب الأوسط ثم ملكها المرابطون فالموحدون إلى أن استخلصها بنو منديل أمراء مازونة فانضمت إليهم في القرن السابع الهجري..."(محمد بن أحمد أبو راس الناصري ،دت، ج1، ص31-32)

3ـ2: مغراوة تنس ودعمها للزيانيين

خلال هذه المرحلة ق 7هـ/12م، وبالتوازي مع قيام دولة بني عبد الواد 633هـ/1235م، بتلمسان تمكنت أكبر وأقوى قبائل المغرب الأوسط من امتلاك الحكم بمواطنها، فقد عمد أبو زكريا الحفصي إلى اقتسام المغرب الأوسط بين أكبر قبائله

وعرضه مزاحمها لملك بني زيان فجعل عبد القوي بن عطية التوجيني على الونشريس والعباس بن منديل المغراوي على مواطنه بالشلف وعلي بن منصور على مليكش سنة 639هـ/ 1241م و عهد إليهم بذلك وأذن لهم في اتخاذ الآلة والمراسم السلطانية وكوّن إمارتهم على أوطانهم.

ومواطن أولاد منديل بالشلف وأهم مدنهم تنس، شرشال، برشك ، المدية واختطوا مازونة حاضرة لهم (عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ج4، ص107-108.)، هذه المدن المغراوية ظلت ميادين للصراع المغراوي الزياني من أجل السيادة عليها إلى غاية القرن 8ه (782ه/1380م) فقد عرفت مغراوة بتذبذب الولاء ما بين المرينيين والحفصيين لتحقيق مصالحهم وحماية ممتلكاته من الزيانيين، لأن عامل المصلحة ظل قائما بغية توطيد حكم هذه الكيانات السياسية ثابتا نجد المغراويين بالشلف وسائر مناطقها بما فيها مدينة تنس وسكانها تقف حليفا داعما للدولة الزيانية في عدة مواقع:

• موقعة إسلي الأولى 648هـ/1250م .:خاض يغمراسن بن زيان هذه المعركة لحماية عرش الموحدين وللقضاء على أطماع المرينيين (يحيى بن خلدون ، 2011، ج1، ص 227. بورملة عربية، 2009-2010، ص 68-69)،"وصلحت العلاقات بين أمير مغراوة و محمد بن منديل وبين يغمراسن وصاروا على الاتفاق والمهادنة ونفر محمد بن منديل ومن معه من قومه من مغراوة إلى غزو المغرب" (عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ج4، ص88) والتقى الفريقان بوادي إيسلي من أحواز وجدة وانتهت بهزيمة يغمراسن ومن حالفه.

• واقعة كلدمان 657ه/1260م: بعد وفاة أبي يحيى بن عبد الحق المريني سنة 656هـ/ 1259م، راود يغمراسن الأمل في ضم المغرب الأقصى والقضاء على بني مرين ، ووجد نفسه مضطرا إلى الاستعانة بشعوب زناتة وإلحاقها بعسكره واحتاج إلى تدعيم جيشه بجنود مغراوة لمواجهة بني مرين (عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ج4، ص112، بورملة عربية ، 2009-2010، ص 70).

3.3: دور مغراوة في دعم وابتعاث الحكم الزياني

أثناء انشغال السلطة المرينية بصراعها الداخلي بين أبو الحسن وابنه أبو عنان والناصر سنة 750هـ/ 1349م حاول الأخوان أبو سعيد وأبو ثابت الزيانيين تجديد ملك آبائهم والتخلص من الهيمنة المرينية على أوطانهم بالمغرب الأوسط فدخلا تلمسان واستعاد على إثرها ندرومة، هنين (عبد الحميد حاجيات، 2011م، ص 28-26)، وفي جمادى الأولى 750هـ/1349م استعاد وهران وهزم قبيلة مغراوة بواد رهيو، ثم بعثت مازونة بيعتها للأخوين أبي سعيد وأبي ثابت وعلى إثر هذه الواقعة صارت مغراوة حليفا للدولة الزيانية (عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ج7، ص155. عبد الحميد حاجيات، 2011م، ص 26)

وانضمت مغراوة برئاسة علي بن راشد إلى جيش أبو ثابت الزياني في موقعة تيعيزين بناحية الشلف واستطاع أبو ثابت أن يبعد الخطر المريني وأحلافه عن المغرب الأوسط ، إلا أن مغراوة الشلف أنقضت العهد بينها وبين بني زيان والتفافها بالأمير الزياني المعارض محمد بن عمر الجُمي ، فزحف إليها أبو ثابت في محرم 752ه/ 1351م، واعتصمت مغراوة بجبال تنس وانتهى الحصار بانتحار الأمير المغراوي علي بن راشد في شعبان 752هـ/ 1351م، وبذلك انقرضت إمارة بني منديل المغراوية بالشلف ثم عاد أبو ثابت إلى تلمسان بعد ان ضم إلى جيشه كثيرا من فرسان مغراوة (عبد الحميد حاجيات، 2011م، ص29-30).

4.الدور الحضاري لأعلام تنس

1.4: علاقة السلطة الزيانية بعلماء تنس

تطلب النمو الحضاري لتلمسان الزيانية تكاتف وتعاون السلطة والنخب العلمية في مآلات المشاريع الحضارية للمدينة، فاستلزم من السلطة الزيانية منذ ابتداء أمرها تسخير كل النخب العلمية بالمغرب الأوسط وخارجه، وتوجيه خبراتها ومؤهلات علمائها في بناء مختلف مؤسسات الدولة.

فقد أمكنت شخصية يغمراسن بن زيان الراغبة في أهل العلم (محمد بن عبد الله التنسي، 2011م، ص125، 126.) من وضع حجر الأساس للعلوم والمعارف بدولته واستقبال وتوجيها نحو اختصاصها." فإذا كانت السلطة الزيانية عاملا رئيسيا في نشأة واستقرار عدد من الفقهاء بتلمسان، فلم يكن بإمكان هذه المدينة أن تأخذ في الرقي في معزل عنهم "(صابرة خطيف،2011، ص100.)

2.4: الفقيهان الأخوان أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام و أبو الحسن علي التنسيان

لم يصرف يغمراسن نظره عن نخب المغرب الأوسط الموزعة في مدنه وأريافه وحواضره، فقد كان يدرك قيمة أهل العلم والصلاح في ربوع دولته، واهتمامه الشديد بهذه الفئة نابع من شخصيته، فقد "كان فاضلا... كثيرا ما يجالس الصالحين، ويكثر من زيارتهم"(صابرة خطيف،1432/2011، ص126) ، وذلك ما جعله يلتفت إلى علماء مدينة تنس، ونقصد الفقيهين الأخوين أبو إسحاق بن يخلف التنسي(668هـ/287م) وأخيه أبي الحسن(706هـ/ 1306م) ومحاولته استقدامهما لعاصمة الدولة لإدراكه مكانتهما العلمية، فقد "كانا فقيهين مشاركين في العلم مع مروءة تامة ودين متين" (محمد العبدري البلنسي، دت، ص11.)، إضافة إلى ما يحمله الفقيهين من شهرة علمية على المستوى المحلي والإسلامي -المشرقي والمغربي-(محمد العبدري البلنسي، دت، ص11..

حاول السلطان يغمراسن جلب الفقيه الأكبر إبراهيم بن يخلف التنسي في عدة مراسلات، وأبى الفقيه الرحيل عن موطنه، وبعد أحداث فتنة مغراوة سنة 666هـ/1267م ورد

الفقيه أبو إسحاق تلمسان وفي لقاء علمي مع فقهاء المدينة بُلِّغ السلطان بذلك، وجاء للجامع الأعظم للقاءه وكرر طلبه في رغبته في المكوث بتلمسان قائلا: "ما جئت إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج، ووافق ذلك غرض الفقهاء" (ا بن مرزوق التلمساني،2008م، ص 275. أحمد بابا التنبكتي، دت، ص38. محمد بن عبد الله التنسي، 2011م،126) وبذلك استقر بتلمسان الفقيه أبو إسحاق بن يخلف، أما أخوه الفقيه أبو الحسن فإنه "ورد عليه من المشرق بعد سكناه بتلمسان، هذا الأخير الذي عُدّ من كبار العلماء العاملين (يحيى بن خلدون، 2011، ج1، ص151)، وقد أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بإنشاء مسجد يحمل اسمه "مسجد أبي الحسن" بالقرب من المسجد الأعظم سنة 696هـ/1296م.

في حين تؤكد الباحثة صابرة خطيف "أن المسجد أنشأ لذكرى تخليد أخيه الأمير أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن، واحتفظ المسجد باسم أبي الحسن علي التنسي ومكانة الفقيه ليست كفيلة بالتأكيد على نسبة المسجد له، والباحثة لم تقف على نص يفيد أنه كان إماما أو خطيبا أو مدرسا به والمسجد لم يأخذ اسم أبي الحسن إلا في عهد يحي بن خلدون"(صابرة خطيف،2011، ص145، عبد العزيز فيلالي،2002م، ص146، 147.).

3.4:محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني (ت 899هـ/1494م)

من خلال اسمه ونسبه يتضح لنا موطنه الأصلي -تنس- دلالة على أنه تنسي الموطن ثم نزيل تلمسان، وذلك ما أكده المقري "الإمام الحافظ عبد الجليل التنسي نزيل تلمسان، وقال في موضع الآخر التنسي ثم التلمساني"، وقد سار جميع من ترجم للفقيه بأنه من مدينة تنس (محمد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، 2011م، ص10.) .

ولد محمد بن عبد الله بموطنه تنس ثم انتقل لتلمسان باعتبارها حاضرة العلم والعلماء، ما بين 842 846-هـ/ 1438-1442م (محمد بن عبد الله التنسي،نظم الدر والعقيان، 2011م، ص13 وما بعدها..) ، وأخذ عن كبار فقهائها أمثال العلامة أبي الفضل محمد بن مرزوق الحفيد وأبي الفضل بن الإمام وقاسم العقباني ومحمد بن النجار... وغيرهم(ابن مريم المديوني التلمساني،، دت، ص248.)، ساهمت هذه الشخصيات العلمية في تكوينه العلمي، وتنوعت مداركه المعرفية بتنوع ينابيع العلم التي استقى منها- حتى طار صيته بين أقران، وصفه أحمد بن داود الأندلسي "بقية الحفاظ، قدرة الأدباء، العالم الجليل"(أحمد بابا التنبكتي ، دت، ص573. ابن مريم المديوني التلمساني،، دت، ص248.)،بلغ محمد بن عبد الله التنسي منزلة كبار علماء عصره كونه فقيها، مؤرخا، أديبا، شاعرا وحافظا (محمد بن عبد الله التنسي،دولة الأدارسة، 2011م، ص16.)، حتى صار يعرف بالحافظ التنسي، إضافة إلى بلوغه منزلة عليا علما وتدريسا مقارنة بمعاصريه من العلماء، حتى لقبه المقري بـ"حافظ عصره، شيخ شيوخ شيوخنا" (محمد بن عبد الله التنسي،نظم الدر والعقيان، 2011م، ص21) ، لذلك نجده نال مكانة مرموقة عند السلطان المتوكل بالله الزياني (866-873هـ/ 1459-1468م) وقد رسمت لنا مؤلفات التنسي شكل هذه العلاقة، روابطها وخلفياتها وأهدافها -سيتم التطرق لها لاحقا- ولم يُخف التنسي إعجابه بسلطانه المتوكل الذي اشتهر بحزمه وشجاعته فضلا عن كرمه وإحسانه لأهل العلم ونظم القصائد في مدحه حتى قال في ذكر مناقبه ووصفه "... وما انطوى عليه من الأخلاق الحسنة والشيم المستحسنة لطال الكتاب وخرج عن الحد الذي رسمه لتأليفه" (محمد بن عبد الله التنسي، دولة الأدارسة، 2011م، ص19-20)

5ـ دور علماء تنس بتلمسان ما بين النشاط السياسي والعلمي:

1.5: النشاط السياسي

انتهج يغمراسن بن زيان سياسة الانسحاب التدريجي من سلطة الموحدين ابتداءا بالتخلي عن العقيدة التومرتية ، بعد محو آثارها و الاكتفاء بالدعاء لخليفتها على المنابر ، حيث اتخذ من تنصيب الفقيه أبو إسحاق بن يخلف التنسي منصب التدريس والفتيا بدولته فكان لهذا الحدث سببا مباشرا لعودة المذهب المالكي رسميا بالدولة ، وبه راهن يغمراسن في بداية انفصاله السياسي عن الموحدين على الفقهاء المالكية بعد استقرار هذا الأخير الذي عُد من كبار عصره علما وفقها وتصوفا ، ثم انتقل منصب الإفتاء والتدريس لأخيه أبي الحسن التنسي(" صابرة خطيف،2011، ص102-103) ، فصادف هذا التحول السياسي تحت غطاء المذهب المالكي ارتياحا كبير للفقهاء والنخب المالكية المغربية وأعادوا بذلك مذهبهم الرسمي للمغرب الأوسط وعملوا على تدعيمه وتوطيده(عبد العزيز فيلالي،2002م،ج2، ص377.).

لم يكن نجاح علماء تنس في تأدية واجبهم العلمي نحو ساكنة تلمسان سواء على مستوى التدريس، أو الوعظ، أو الفتيا بمعزل عن دورهم السياسي الذي يقضي بدعم الحكم الزياني ما بين استقراره والحسم في رسم سياسته الخارجية، ومن منطلق العلاقة القائمة ما بين العالم والسلطان، كان دور علمائنا في القضايا السياسية على مراحل متعددة من الحكم الزياني والتي أخذت أشكالا عدة حسب الظروف العامة للدولة.

إن المكانة التي بلغها أبو إسحاق بن يخلف التنسي كونه واحد عصره علما ودينا، فضلا عن انتهاء رئاسة التدريس والفتوى إليه في أقطار المغرب (محمد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، 2011م، ص127. ابن مريم المديوني التلمساني، دت، ص66.)، ذلك ما جعل له مكانة عظيمة عند ملوك عصره (يحي بن خلدون، دت، ج2، ص151).

هذه المكانة دفعت يغمراسن بن زيان إلى تفويض الفقيه

للمشاركة في العمل السياسي على المستوى الخارجي، للفصل في خصومات الدولة مع جيرانها -الحفصيين شرقا والمرينيين غربا- عن طريق السفارة نحو فاس "فكان أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف على رأس وفود السفراء إلى فاس، حيث تمتع بسمعة طيبة عند فقهاء فاس وأمرائها لذلك اختصه سلطانه في شأن السفارة لتدعيم الروابط الأخوية والدبلوماسية بين البلدين"(عبد العزيز فيلالي،2002م،ج2، ص25) ، ولعل ظن السلطان يغمراسن على تقديم الفقيه الصوفي أبي إسحاق على رأس هذه الوفود الدبلوماسية مرهون على نجاحها كونه من أهل التصوف والصلاح وكراماته لدى معاصريه ومن بعده من الصوفية مشهورة (محمد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، 2011م، ص127. يحي بن خلدون، دت، ج2، ص151)، فاعتقاد السلطة في ولاية وكرامات أهل التصوف كون السلطة ذاتها تتبنى إلى حد ما نفس الاعتقاد ، فالسلطان يغمراسن نفسه كان حريصا على زيارة أهل الصلاح والنيل من بركاتهم ، فنجده يصل إلى حوض الشلف لزيارة الولي الشهير أبي البيان واضح بن عاصم بن سليمان المكناسي، ملتمسا بركته والدعاء له ولعقبه (ابن مرزوق التلمساني ،2008م، ص 288)والأخذ برأيه في بعض شؤون حكمه،" أشار على يغمراسن بن زيان بنقل ولاية العهد من ابنه عمر واسنادها إلى ابنه عثمان "(ابن مرزوق التلمساني ،2008م، ص 288) ، والشيخ واضح كان من أهم أصحاب أبي إسحاق التنسي وعدّه من مشايخه الصوفية بالشلف(محمد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، 2011م، ص127)، فظاهرة اعتقاد السلطة في ولاية وقداسة أهل التصوف محاولة منهم لاستثمار هذا الولاء لصالحها ومحاولات التقارب والاحتواء لهذه الفئة هي في حقيقة الأمر تقدير السلطة لهم لأنهم لم يعارضوا سياستها وكان اهتمامهم بالجانب الروحي والسلوكي للمسلم بعيدا عن متاهات السياسة(- بريكة مسعود ، 2014، ص 314.) كان الحافز الأكبر لهذا التقارب، وفي نفس السياق الإخباري الكرامي يوضح لنا ابن مرزوق الخطيب رئاسة الفقيه أبو إسحاق التنسي للإرسالية الثانية لسلطان المغرب أبي يعقوب ويقول هذا الأخير عنه:" ماصافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان، إلا الفقيه أبو إسحاق التنسي عندما صافحني ادركتني منه مهابة، فكانت يدي ترتعش من هيبته" (ابن مرزوق التلمساني ،2008م، ص 293)

تواصلت جهود الشيخ أبو إسحاق في السلك الدبلوماسي خلال عهد السلطان أبو سعيد عثمان. وشغل أخاه الفقيه أبو الحسن بن يخلف التنسي نفس الدور الدبلوماسي فقد تمتع هو الآخر بمكانة رفيعة عند ملوك المغرب، وتصرف في الرسالة بين ملوك المغرب والمشرق، خاصة بين الزيانيين والمرينيين، وبسبب هذه لسفارة انجرت إليه التهمة بمجانبة الصف المريني أثناء حصار تلمسان سنة 689هـ/1290م، فخرج حينها إلى السلطان المريني أبو يعقوب فبالغ في بره واحتفائه وأنزله منزلة أخيه(يحي بن خلدون، دت، ج2، ص151) ، وصار فقيه حضرته"(أحمد بابا التنبكتي ، دت، ص245) ، ويغشى مجلس السلطان على الدوام، وحضي عنده حظوة لم ينلها فقيه قط عند ملك(ابن مرزوق التلمساني ،2008م، ص 295) ، وفي وفاته حضر جنازته بما هو معروف(يحي بن خلدون، دت، ج2، ص151).

2ـ5: مواقف الحافظ التنسي اتجاه الحكم الزياني

كما أسلفنا تربط الحافظ التنسي بملوك بني زيان علاقة قوية، فهو مؤرخ الدولة وما يؤكد ارتباطه بملوكها كتابه "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان" الذي خصصه لتخليد ملوك بني زيان وذكر آثارهم ومناقبهم وإنجازاتهم السياسية والحضارية بالمغرب الأوسط (محمد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، 2011م، ص109).

إن الدافع الحقيقي لتأليف هذا الكتاب هو خدمة السلطان محمد المتوكل الذي كان يعتبر المؤلف خدمته من واجبه بقوله "عسى أن أقوم ببعض واجب حقه علي"، وجعل القسم الأول من الكتاب للتعريف بنسب السلطان المتوكل وشرفه ويتضمن القسم سبعة أبواب خصص الباب الأول لذكر نسب المتوكل والباب السابع في بيان شرف بني زيان وتتبع ملوكهم إلى عهد دولة المتوكل.

غير أن الغاية الرئيسة من تأليفه "نظم الدر" هو إثبات نسب محمد المتوكل وشرف البيت الزياني إلى أسرة الأدارسة (محمد بن عبد الله التنسي، دولة الأدارسة، 2011م، ص38)، ومسألة شرف بني زيان سبق أن حاول إثباتها السلطان أبو حمو موسى الثاني، هذا الأخير الذي طالما كان شخصية محورية لدى مؤرخي البلاط الزياني لما تحمله من مزايا سياسية وعلمية وما قدمه لبقاء واستمرار الحكم لبني زيان (يحي بن خلدون، دت، ج2، ص15-16-18).

ويعد يحي بن خلدون كاتب ومؤرخ الدولة على عهد هذا السلطان، أول من طرح قضية شرف الأسرة الزيانية على المستوى العلمي والتاريخي فقد كان معاصر لترويج السلطان أبو حمو لهذه المسألة، وكان موقف يحي بن خلدون من خلال كتابه بغية الرواد حول نسب البيت الزياني أحد المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الحافظ التنسي (محمد بن عبد الله التنسي،نظم الدر والعقيان، 2011م، 45-46) ، وموقفه من صحة نسبهم الشريف تعبير صريح على دعمه لشرعية الحكم الزياني بالمغرب الأوسط وتبريرا لطموحاتهم التوسعية على الجبهتين الشرقية والغربية، ولم يقف عبد الله التنسي عند هذا الحد بل استهل الباب السادس من كتاب نظم الدر والعقيان للتفصيل في ذكر الأدارسة وإخوتهم السليمانيين (محمد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، 2011م، 44-45).

وابتدأ الحديث عن نسبهم أولا بامتداد نسب السلطان المتوكل ببني عبد الله الكامل إدريس وأخيه سليمان (محمد بن عبد الله التنسي، دولة الأدارسة، 2011م،ص33)، وتاريخ الحكم فيهم ولأسلافهم وإماراتهم في المغرب والأندلس والتي كانت مدينة تنس أحد الإمارات العلوية التابعة لهذه المملكة.

فضلا عن ما كتبه التنسي حول نسب الزيانيين، نجد له مؤلفا آخر كتبه خصيصا للسلطان أبو حمو موسى الثاني بعنوان "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح"، وهو مجموعة من قصائد السلطان أبو حمو التي كان يلقيها في الاحتفالية السنوية لمولد النبي صلى الله عليه وسلم، كما جمع فيه قصائد مدح فيها لشعراء السلطان (محمد بن عبد الله التنسي، دولة الأدارسة، 2011م،ص27-28).

كما كان الحافظ التنسي بصدد تأليف كتاب للسلطان المتوكل بالله قائلا: "فعزمت جعل الله الملك فيه وفي عقبه أبديا على الجمع له تصنيفا يكون ملوكيا"(محمد بن عبد الله التنسي، دولة الأدارسة، 2011م،ص35)، وقد عاش التنسي ربع قرن بعد المُؤَلَف ولم يحقق ما وعد به في كتابه ولم يؤلف كتابا حول هذا السلطان، كما يبدو أنه لم يمدح من جاء بعده من أمراء بني زيان، " ولعل الحوادث التي وقعت بعد تأليف كتاب نظم الدر والعقيان والخاتمة المؤلمة لعهد المتوكل وسقوط الزيانيين تحت ضربات الحفصيين، ومن احتمى بهم من منافسيه الزيانيين، مما يفسر انقطاع التنسي عن الانشغال بتمجيد ملوك بني زيان بعد ذلك"(محمد بن عبد الله التنسي، دولة الأدارسة، 2011م،ص20-21).

6ـالدور العلمي والفكري لعلماء تنس بتلمسان

6ـ1:العالمان الأخوان أبو إسحاق وأبو الحسن بن يخلف بن عبد السلام التنسي

كان لاستقرار علماء تنس بتلمسان دور واضح على المستوى العلمي فتنصيب أبو إسحاق بن إبراهيم التنسي للتدريس بالمسجد الأعظم أتاح لطلبة العلم باختلاف فئاتهم العمرية ومستوياتهم العلمية (محمد بن عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، 2011م، ص127) من الاستفادة من علمه الذي هو خلاصة جهوده لتحصيل العلم عبر مشيخة المغرب والمشرق (محمد العبدري، 1985، ص11. ابن مريم، دت، ص67). كما تكفل بما يلزم طلبته من أهل البوادي النجباء حتى اشتهر جماعة منهم (ابن مرزوق، 2008، ص 281.)، كما كان يقدم دروسا لعامة الناس في مسجد القيسارية فيزدحم لحضورها خلق كثير، حتى ضاقت بهم الشوارع المتصلة بالجامع(ابن مرزوق، 2008، ص 281).

فدرّس بتلمسان سائر العلوم التي اكتسبها وانتفع بعلمه خلق كثير لا يمكن إحصائهم (ابن مريم، دت، ص67). علاوة على ذلك فقد كانت له قدم راسخة في الحديث - فاسمه على رأس قائمة المحدثين بالمدينة، "فقد تربع على عرش الحديث، وكانت بضاعته فيه وافرة فجلس على كرسيه في مدينة تلمسان، وكانت له فيه طرق عالية بفاس ومكة" (عبد العزيز فيلالي، 2002، ج2، ص443.).

اختصاص أبو إسحاق بن إبراهيم بالفقه تدريسا ثم تأليفا، وبصيرته بعلم الفقه (التنبكتي، دت، ص38) مكنته "لرئاسة الفتيا في أقطار المغرب، ترد عليه أسئلة من تلمسان وسائر إفريقية كلها" (ابن مريم، دت ص66، 67.)، وذلك ما يكشف عن اتخاذه مفتي رسمي للسلطان -يغمراسن- منذ عهد قيام الدولة الزيانية" (صابرة خطيف، 2011، ص168.)

ويعد مجلسه للإفتاء في الشؤون العامة مجلسا فقهيا يتطرق من خلاله لمختلف القضايا معتمدا على عصارة أبحاثه ومحصلته في علم الفقه وتعد هذه الجلسات أحد الحلقات المتاحة لطلبة العلم وعموم الناس في علم الفقه.

وفي نفس السياق ألف الفقيه أبو إسحاق كتابا ضخما يقع في عشرة أجزاء بعنوان شرح التلقين لعبد الوهاب، وقد ضاع هذا الكتاب في حصار تلمسان(ابن مريم، دت ص67.)، وقد ظفر به أحد علماء تلمسان عندما خرج من المدينة أثناء الحصار الطويل(1299-1307م) (عبد العزيز فيلالي، 2002، ج2، ص443)، وقد اشتهر بتآليفه الكثيرة في العلم(يحي بن خلدون، دت، ج1، ص151)، وله تقييد لشرح سيف الدين الحنفي على كتاب الإرشاد للعميدي أخذه عن شيخه مشافهة ثم قرأ تقييده على شيخه سيف الدين واستحسنه هذا الأخير وكل من حضر وتداول الناس وأهل العلم الكتاب ومنهم من كان ينسب هذا التقييد لسيف الدين الحنفي(ابن مريم، دت، ص66، 67).

نال أخاه أبو الحسن المستوى العلمي والفكري فكان على غرار أخيه علما ودينا (العبدري، دت، ص11)، فاختصاصه بالفقه ومشاركته في مختلف فنون العلم أكسبت أبا الحسن مكانة علمية بتلمسان رشحته لتولي منصب أخيه بعد وفاته سنة 680هـ في مجالي الفتيا والتدريس بالجامع الأعظم بتلمسان" فقد ترك أبو إسحاق في آخر عمره الفتوى وأجلس أخاه أبا الحسن في موضعه وكان يجلس إلى جانبه يحضر تدريسه "(صابرة خطيف، 2011، ص103.ابن مرزوق، 2008، ص287)

"وبفضلهما نجحت تلمسان في إنجاب فقهاء كبار خلال القرن الثالث الهجري، اعتمادا على المشيخة المحلية وأضحت تلمسان قادرة على التزود بالعلماء دون الانتقال إلى خارجها، ويُرجع الفضل في ذلك إلى الأخان التنسيان اللذان تلقيا تعليمهما على المستوى المشرقي والمغربي" (صابرة خطيف، 2011، ص 303.)

6ـ2: الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي

تمتع الحافظ محمد بن عبد الله التنسي بنفوذ علمي وسلطوي واسع في الدولة الزيانية، ما أكسبه شهرة واسعة في ميادين العلم والتعليم كونه من أكابر علماء تلمسان ومحققيها بشهادة أحد طلبته حين خروجه من تلمسان" بأن العلم مع

التنسي"(التنبكتي، دت، ص573.)، لذلك نصبته السلطة الزيانية للتدريس بمسجد الخراطين، وكذلك مدرسا بالمدرسة اليعقوبية (ابن مريم، دت، ص252. أبو جعفر البلوي، الوادي الآشي ثبت،1983، ص415.)، وعُدَّ من أبرز المدرسين حينئذ، وقد لزم دروسه أبو عبد الله ابن الإمام بن العباس مدة عشرة أعوام، وحضر إقراؤه تفسيرا وحديثا وفقها وعربية وغيرها من العلوم (ابن مريم، دت، ص249) مما يدل على موسوعته وجمعه للعلوم العقلية والنقلية على حد سواء.

لذلك نجد كوكبة من علماء القرن 9 هـ /15م تتلمذوا على يده منهم محمد بن صعد التلمساني (ت901هـ/1495م)، ومحمد بن احمد بن مرزوق الحفيد (كان حيا 918هـ/1512م)، وأبو عبد الله محمد الإمام بن العباس (كان حيا في حدود 920هـ/.1514م)، وأحمد بن مرزوق الكفيف وعبد الله بن الجلال وبلقاسم الزواوي ((ابن مريم، دت، ص573) ومن الأندلس أحمد بن داود الأندلسي الذي وصفه شيخنا بقية الحفاظ قدوة الأدباء العالم الجليل(ابن مريم، دت، ص249) ، ونجد كذلك أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (ت938هـ/1531م) هذا الأخير الذي قرأ عليه من المدرسة اليعقوبية (فاطمة الزهراء عمارة، 2009-2010.ص 124-318).

إضافة إلى ذلك يعد الحافظ التنسي من أبرز من تصدر للإفتاء في عصره فقد وردت العديد من نوازله في فتاوى المعيار (التنبكتي، دت، ص573.) للونشريسي وأشهرها الجواب المطول عن مسألة يهود توات وهي رد لسؤال الفقيه عبد الكريم المغيلي في شأن جهاد يهود توات(التنسي، تاريخ الأدارسة، 2011،ص18.) ، وقد أبان فيه عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق وأثنى عليه الإمام السنوسي بقوله: "لقد وفق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفا غليل أهل الإيمان في المسألة ... والإمام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبو عبد الله التنسي... وقد أمد لإبانة الحق ونشر أعلامه النفس وحقق نقلا وفهما..."(التنبكتي، دت، ص573.) ، ومما نأسف له ضياع معظم تراثه العلمي على رأسها تعليق على ابن الحاجب الفرعي في الفقه الذي ينسب إليه، وكتاب آخر يضم فهرست شيوخه وكتاب الطراز في شرح ضبط الخراز وهو شرح لأرجوزة مورد الظمآن في رسم القرآن لأبي عبد الله محمد الشريشي الخراز، فقد شرح التنسي 154 بيت بالضبط الخاص من مجموع 454 بيت للرسم من الأرجوزة، وكتاب آخر في إسلام أبي طالب قال عنه السخاوي أنه ذهب في تأليفه على مذهب الرافضة (التنسي، نظم الدر والعقيان، 2011، ص24).

الخاتمة

شكل موقع مدينة التنس البحري وتوسطه الطريق التجاري الساحلي والبري للمغرب الأوسط أحد المنافذ الهامة الرابطة لهذا الإقليم بالعالم التجاري الأندلسي والمتوسطي ما أكسب المدينة دورا حيويا كان عاملا محفزا للنخب التجارية البحرية التي شيدتها وذلك ما شجع السليمانيين لاتخاذها قاعدة سياسية وولاية تابعة لحكمهم بتلمسان وعمل أمرائها على توسيعها جغرافيا وتطويرها حضاريا لما تكتسبه من قيمة اقتصادية وتجارية، وبرز دورها السياسي خلال القرن 7هـ/13م، بعد سقوط الموحدين، لتشكل بؤرة توتر لتذبذب ولائها وعدائها للزيانيين، وتحالفها لصالح بني مرين وخدمة لقبيلها مغراوة بزعامة بني منديل.

إن الاضطراب السياسي كان عاملا أساسيا لانتقال نخبها العالمة للاستقرار بتلمسان الزيانية وسط ترحيب واسع من قبل السلطة والنخبة والعامة، هذه الرعاية التي قوبلت بمؤازرتهم حكامها والعمل على النهوض بمؤسساتها العلمية والدينية نحو تكوين النخب بالحاضرة والارتقاء بالمنظومة المعرفية.

تضارب المصالح

يعلن المؤلفين أنه ليس لديهم تضارب في المصالح .

ـقائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- ابن حوقل، (1992م)، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، دط.

2- ابن خلدون أبو زكريا يحي، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرف للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، طبعة خاصة، الجزائر.

3- ابن خلدون عبد الرحمن، (2000م) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن: خليل شحادة، مرا: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، ج4.

4- ابن سعيد المغربي، (1982م)، كتاب الجغرافية، تحقيق: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط2.

5- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني(2008م)، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، الدار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1.

6- ابن مريم المديوني التلمساني(دت)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الحزائر،

7- الإدريسي أبو عبد الله الشريف، (1983م) القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من نزهة المشتاق، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2.

8- البكري أبو عبيد الله، (2002م) المسالك والممالك، بيروت، دار الكتب العلمية، تح: جمال طلبة، ط1.

9- البلوي أبو جعفر (1983م)، الوادي الآشي ثبت، د.تح: عبد الله العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1.

10- التنبكتي أحمد بابا (دت)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ع. تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، ط2، طرابلس،

11- التنسي أبو عبد الله، (2011م) تاريخ دولة الأدارسة، الجزائر، عالم المعرفة والنشر والتوزيع، طبعة خاصة.

12- التنسي محمد بن عبد الله، (2011م) تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من كتاب نظن الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود آغا بو عياد، الجزائر، موفم للنشر.

13- الجيلالي عبد الرحمن، (2009م)، دار الأمة، دط، ج1.

14- الحسن بن محمد الوزان الفاسي(1983م)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، ج1.

15- الحموي شهاب الدين ياقوت (دت)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج2.

16- الحميري محمد بن عبد المنعم، (1984م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط2.

17- العبدري محمد البلنسي(دت)، الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو، كلية الآداب الجزائرية، الجزائر، دط،

18- القزويني أبي زكريا، (دت)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت دار صادر، دط.

19- المراكشي، (1985م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، دط.

20- الناصري محمد بن أحمد أبو راس، (دت) عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: محمد غالم، الجزائر، منشورات كراكس، دط، ج1.

ثانيا: المراجع

1- بحاز إبراهيم بكير، (2010م) الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، الجزائر، منشورات ألفا، ط3،

2- بلهواري فاطمة، (دت) التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، دط.

3- بورملة خديجة، (2016م)، النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية بالمغرب الوسط، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران1، العدد23.

4- حاجيات عبد الحميد، (2011م) أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الجزائر، عالم المعرفة، ط خاصة.

5- خطيف صابرة، (2011م) فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، الجزائر جسور للنشر والتوزيع، صر بدعم من وزارة الثقافة بمدينة تلمسان، ط1.

6- الدراجي بوزياني، (2007م)، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، الجزائر، دار الكتاب العربي، دط،

7- سليمان بهلولي، (2011م)، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (173-342هـ/ 789-954م)، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامي، ط1.

8- عربية بورملة، (2009-2010م)، إمارة بنو توجين بالونشريس خلال القرنين (7-8هـ/ 13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون، مذكرة مقدمة نيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية.

9- علي عشي، (2019م) الدور التاريخي للمدن الساحلية في المغرب الأوسط بين العصر القديم والوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، مجلة علمية دولية تصدر عن مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، مج10، العدد2.

10- عمارة فاطمة الزهراء، (2009-2010م) المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين(8-9هـ/14-15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية.

11- فاطمة بوعمامة، (2015م)، نشاط مدينة تنس التجاري في العصور الوسطى، الجزائر، حوليات التاريخ والجغرافيا، مجلة دولية علمية محكمة، تصدر عن مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، العدد9.

12- فيلالي عبد العزيز، (2002م) تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، دط، ج1، الجزائر.

13- كربخال مرمول، (دت) إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، الرباط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج2.

14- لواتي فاطمة، (2007-2008م) أثر اللغة البونيقية في المنطوق اللهجي الجزائري، رسالة ماجستير في علم اللهجات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

15- مسعود بريكة، (2014م) النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9هـ/13-15)، الجزائر، دار ميم للنشر، ط1.

ـ الاستشهاد بهذا المقال كان بحسب أسلوب APA

عائشة تازي، فاطمة الزهراء عمارة (2023)، دور حاضرة تنس في دعم الحكم الزياني سياسيا وفكريا، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 15، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات:347-356.